

دمية القصر

لربِّ بدورٍ عَجْرَتٍ بِدِيَا جِرِّ ... وَرَبِّ خُدُورٍ هُتِّ كَتَّ خَفَرَاتُهَا .
فمن فَتَيَاتٍ نُطِّ قَت بِذَوَائِبِ ... وَمِن فَتِيَةٍ مَسَّ الثَّرَى وَفَرَاتُهَا .
وَمِن أَعْيُنٍ غُضِّتْ وَكَانَتْ عَلِيَّةً ... تُمَشَاوِسُ الْحَاظَ الدُّجَى نَظَرَاتُهَا .
ومنها : .

أَسَاغَتْ بِطُونُ الْأَرْضِ سَوْدَ أُسُودِهَا ... وَلَقَدْ لُفِظَتْ فَوْقَ الثَّرَى حَشَرَاتُهَا .
فَكُنْ لِلْمَعَالِي يَا أَبَاهَا بِعُيُودِهِ ... حُسَامًا تَجِدُ عِنكَ الْعِدَا وَتَرَاتُهَا .
وَمَا لِلْمَنَايَا عِنَ عِدَى وَأَقَارِبِ ... مَرَاحٌ إِذَا عَادَ الْوَرَى سَكَرَاتُهَا .
عِزَاءً عَلَى الدُّنْيَا وَصَبْرًا عَلَى الرَّدَى ... إِذَا مَا دَوَاعِيهِ عَلَّتْ نُعَرَاتُهَا .
تَنَكَّرَتْ الْأَيَّامُ لَا بَلَّ تَنَكَّسَتْ ... فَقَدْ شَابَهَتْ آصَالَهَا بِكِرَاتُهَا .
أَلَا فَلَيرِثُ نَجَلُ الْإِمَامِ وَصِنُوهُ ... بِقَايَا عُلَا تَحْوَى بِهَا أَثَرَاتُهَا .
وَمَا بَعْدُ عَبْدٍ إِلَّا لِنَجْلِهِ ... وَسَائِدُهُ فَلَتحْوَهُ فَعَرَاتُهَا .
إِذَا مَا خَلَا الْمِيدَانَ عِنَ قُورِحِ الْوَعَى ... أُقِيمَتْ عَلَى مِضْمَارِهَا مُهْرَاتُهَا .
وَمَا أَنشَدَنِي لِنَفْسِهِ قَوْلَهُ مِنْ فَخْرِيَّةٍ : .

يَا لِدَلْوَزَارَةٍ مَا لِي لَا أَعْصُ بِهَا ... وَمَا لَهَا لَا تُعَلِّى أَوْ تَشْرِفَ بِي .
وهذه مبالغة حسنة ومن عجيب ما سنج من فخرياته تخلَّصه من صفة البُرغوث والبقِّ إلى نوعٍ من فخره المستحقِّ في أُرجوزةٍ له يقول فيها : .

رَقْمُ الْبِرَاغِيثِ وَزَمْرُ الْبِقِّ ... فِي مُمْحَصٍ مُخَصَّصٍ بِالذَّرْقِ .
يَرَعَيْنَ بَيْنَ أَحْمَصِي وَالْفَرَقِ ... لِحِمَاً جَرَّتْ فِيهَا دِمَاءُ الْعِتَقِ .
وَمِن فَخْرِيَاتِهِ الْحَسَنَةِ قَوْلَهُ مِمَّا أَنشَدَنِيهِ لِنَفْسِهِ : .
لئن كَانَ حَطِّي مِنْكَ أَنِي مَخْوَلٌ ... لِحَطِّكَ أُثْنِي إِذْ تَجُودُ وَأُقْبِلُ .
فَقَدْ نَلْتَمَسِي رُبْتَبَةً لَا تُنَاوِلُهَا ... ذُكَاءُ تُعَاطِينِي السَّنَا فَأُطْلَلُ .
ومنها : .

مِشَتْ فِيَّ أَحْدَاثُ اللَّيَالِي كَأَنَّهَا ... سُمِّيُولُ حَرِيْقٍ فِي الْإِبَاءِ تَغْلَغَلُ .
أَجُوعٌ وَأَظْمَاءٌ عِفَّةٌ وَتَكَرُّمٌ ... وَقَدْ ضَجَّ بِي وَادٍ وَغَطَّ غَطًّا مَرَجَلُ .
مَكَارِمٌ خَاطَتْهَا الْعُلَا بِجُلُودِنَا ... فَمَا هِيَ عَنَ أَبْشَارِنَا تَتَنَقَّلُ .
وَأَنشَدَنِي لِنَفْسِهِ مِنْ غَزَلِيَّةٍ : .
مَا هِيَ إِلَّا لَطْخَةٌ الْغَالِيَةِ ... وَهِيَ لَعَمْرِي لَطْخَةٌ الْغَالِيَةِ .

أُنظِرْ إليها كدُجى مَسْكِهـ ... في ضوءِ شمسِ الضَّحوةِ العالِيهـ ° .
وحوَلَهَا من صُدْعِه عَنبِرُ ... كالْعُدْرِ السوَدِ على الغالِيهـ .
وهي على مذهبنا قِيلةٌ ... للقيَلِ العاطرةِ الحالِيهـ .
فبوركتُ خَلقةٌ تَضْمِيخُه ... لم تَمْتَهِنْدُهَا أُنْمَلُ الطالِيهـ ° .
قد خَطَرَ الشوقُ على بالِيهـ ... إثرَ رُسومِ الصَّبوَةِ البالِيهـ .
وشوقُ قلبي بجُنونِ الهَوَى ... نَشوانُ لا يعرفُ ما حالِيهـ .
وأنشدني أيضاً لنفسه من غزليةٍ :

أميرُ الحُسْنِ لا يَلْأوي عَزيمَهـ ° ... ويقسمُ في ضرائره الغَنِيمةَ ° .
وما ذا ضَرَّهـ لو أن لامي ... يُغزلُ في خِلالِ المَشْقِ مِيمَهـ .
وقال وُشَاتُه : لم تَحَطَّ عنهـ ... وقد ثَقَّبتَ درَّتَه اليتيمَهـ ° .
وله أيضاً من حادثة في بعض الغِلْمانِ :

إنَّ الكَرْنَدِيَّ رُوشنًا خُرَّهـ ... في غِلْمَةٍ وجهُهـ لَهْمُ غُرَّهـ ° .
فخيَّطوا بالعُقارِ مَقْلتهـ ... ومَزَّقوا لا وثَقَّسَّبوا درَّهـ .

قلت : ما أحسن استدراكه اللفظة الفاحشة مع جمعه بين ضدِّي التخييط والتمزيق ! .
وهذا من باب التوفيق للتلفيق . وكتب إلى القاضي أحمد بن منصور بن محمد الأزدي الهَرَوِي
يعاتبه وبينهما محاوراتٌ ومكاتبات :

الذِّنبُ لي لا لمنصورٍ وللكرمِ ... أنا المصُّبِيعُ يا ذِيبَ العُلا كَلَمِي .
ناسَمْتُه فتَلَقَّتَنِي سَمائُهـ ... ليتَ الجَفَاءُ كفاءُ منه للذِّبِّ عَمِ .
وله في غلامٍ أورد الماءَ مُهرا .
وظبِيَّ أوردَ الماءَ ... غزالاً حالِي الذِّحْرِ .
فأبصرتُ غزالينِ ... مَرْحِينِ إلى النهرِ .